

دلالات الحجّ العبادية والروحية



ـ الحجّ من العبادات الإسلامية التي أرادها الله للناس، لتحقّق لهم من خلالها النّظر الشاملة لقضية الإنسان في الحياة. فقد جعله الله فريضةً على كلّ مَن استطاع إليه سبيلاً، واعتبر تركها خروجاً على عمّ الالتزام الإسلامي، حتى جعل التارك لها في حكم الخارج عن الإسلام.

وقد تعبّد الله بالحجّ عباده منذ النبيّ إبراهيم (ع)، وجاء الإسلام فأضاف إليه شروطاً وأحكاماً، وحدّد له أهدافاً ورسم له خطوطاً، من أجل أن يتحقق للإسلام الدور الكبير في الحياة في فاعلية وامتداد، فلم يقتصر فيه على جانبٍ واحدٍ من جوانب التربية، بل استوعب المعاني التي تنطلق في العبادات الأخرى.

لقد جعل الله الحجّ فريضةً على كلّ مَن استطاع إليه سبيلاً، واعتبر تركها خروجاً على عمّ الالتزام الإسلامي

أ - الإحرام:

وقد شرّع الإحرام في كلّ التزاماته وتروكه، ليحقق للإنسان أهداف الصوم، ولكن في أسلوبٍ متحرّكٍ متنوّع، لا يخاطب في الإنسان جوع الجسم وظماءه، ولكنّه يخاطب فيه جوانب أخرى تُهدّب فيه نزعه القوّة، فتتحي إلىه بالانصباط والتوازن، وتُهذّب فيه نزعه الترف فتقوده إلى الخشونة، ونزعة الكبراء فتوجّهه إلى التواضع، وتعلّمه كيف يحرّك الفكر والثقافة والمعرفة في اتجاه الحقّ بدلاً من الباطل، لتبقى المعرفة سبيلاً الوحيد في حركة الكلمة وال فكرة.

ب - الطواف:

وشرّع الطواف حول البيت وجعله ملاً، ليعيش معه الإنسان آفاق الصلاة وروحيتها، ذلك البيت الذي أراده رمزاً للوحدة بين الناس في معناه الروحي المتصل به، لا في مدلوله المادي المتمثل بالحجارة، وللإيحاء بأنّ الحياة لا بدّ من أن تتحول إلى طواف حول إرادة الله، فيما يتمثّل في بيته من مشاعر الطهارة والنقاء والخير والبركة والرحمة والمحبة.. لتكون الحياة حركةً في طريق الأهداف التي يحبّها الله ويرضاها، والتي يريد لعباده أن ينطلقوا معها في رسالته ومسؤوليته.

ج - السعي:

وفرص السعي بين المفا والمرة، ليعيش الإنسان معه الشعور الوعي بأن خطواته لا بدّ من أن تتّجه إلى المجالات الخيرة، ليكون سعيه سعياً في سبيل الخير، وابتعاداً عن طريق الشرّ، فهو يسعى هنا لا لشيء، إلا لأنّ أراد منه ذلك ليحصل على القرب منه، ما يوحى بأنّ السعي هنا إذا كان للحصول على مرضاه مما تعبّدنا به من أمره ونهيه، فينبعي لنا أن نطلق السعي في مجالات الحياة الأخرى، في كلّ آفاقها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الاتجاه نفسه، لنحصل على رضاه في كلّ أمورنا.

د - الوقوف بالمشاعر:

أمّا الوقفات التي أرادها الله في عرفات والمشعر ومنى، فهي وقفات تأمّل وتدبر وانطلاق، ليستعيد فيها الإنسان مبادئه التي قد تضيع في غمرات الصراع التي يخوضها في سبيل لقمة العيش أو في سبيل تحقيق رغباته ومطامعه المشروعة وغير المشروعة، فإنّ الإنسان قد يفقد الكثير من قيمه الكبيرة تحت تأثير النوازع الذاتية من جهة، والتحديات المضادة التي قد تخلق لديه ردود فعل متواترة - من جهةٍ أخرى - فيensi في غمرة ذلك كلّه الكثير الكثير مما يؤمن به أو يدعوه له، الأمر الذي يجعله بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التأمّل والمحاسبة، ليرجع إلى فكره وعقيدته وخطّه المستقيم في الحياة.

الوقفات التي أرادها الله في عرفات والمشعر ومنى، هي وقفات تأمّل وتدبر ومحاسبة للنفس

ه - الأضحية:

وجعل الأضحية رمزاً حياً للتضحية والعطايا، فيما يرمز إليه من تاريخ إبراهيم وإسماعيل (ع)، عندما أسلما الله الأمر وانتصرا على نوازع الأبوّة في عاطفتها تجاه البنوّة، وعلى حبهُ الذات في إحساس الإنسان بحياته، وانتهى الأمر إلى أن فداء الله بذبحِ عظيم، كما جعل الأضحية رمزاً للتضحية فيما يريد أن يثبّره في حياة الإنسان في كل زمانٍ، من السّبّير على هدى هذه الروح، ليكون ذلك خطّاً عملياً تسير عليه الحياة في كلّ مرحلةٍ تحتاج إلى التضحية والعطايا.

و - الرّاجم:

وكان رجم الشيطان إيحاءً بما يريد الله للإنسان أن يعيشه في حياته كهم يوميًّا يواجه فيه خطوات الشيطان، في فكره وعاطفته وقوله و فعله و انتمائاته و علاقاته العامّة والخاصّة. وربّما كان في هذا التكثير في الفريضة لرمي الشيطان - الرمز، إشارة إلى أنّ قضية محاربة الإنسان للشيطان ليست قضية حالة واحدة يعيشها الإنسان ويتركها، بل هي قضية متقدّدة في كلّ يوم.